أعمال البر والإحسان في العصر المملوكي
٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٦م

أستاذ مشارك عثمان أسماعيل الطل
قسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة القدس فلسطين

المستخلص

عرف عن الكثير من السلاطين المماليك كثرة أعمال البر والإحسان والصدقات التي كانوا على الفقراء والمساكين والمحتاجين، وهي الأعمال التي كانت تزداد في حالات ومناسبات معينة كانت تستدعي القيام بذلك.

تهدف الدراسة إلى تبيان أعمال البر والإحسان التي كان يقوم بها السلاطين المماليك، وتبان الأسباب التي تدفعهم إلى القيام بذلك، فتناولت أعمال البر والإحسان والصدقات في العصر المملوكي، فركزت على الأعمال في أوقات الأزمات الاقتصادية، وفي حالات المرض والوفاة، وفي شهر رمضان المبارك، وفي المواكب والأعياد، وعلى أهل الحجاز، وفي حالات عامة أخرى، واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي النقدي التحليلي للأحداث اعتمادا على المصادر التاريخية الأصلية وعلى الدراسات الحديثة التي تتناول فترة الدراسة.

وبينت الدراسة كثرة أعمال البر والإحسان التي يقوم بها السلاطين في العصر المملوكي، وأنها تزداد وتتضاعف في حالات معينة تستدعي ذلك، وأن هذه الأعمال لم تكن مقتصرة على السلاطين فحسب، بل كان يشاركهم في القيام بها الكثير من والأمراء والأغنياء .

الكلمات المفتاحية: البر، الإحسان، الصدقات، العصر المملوكي.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٠٦/٢٩ **تاريخ القبول:** ٢٠٢٥/٠٩/١٤

Acts of Benevolence and Charity in the Mamluk Era (648–923 AH / 1250–1516 CE)

Associate Professor : Othman Ismail Al-Tal
Department of History/ College of Arts, Al-Quds University/ Palestine

Abstract

Many Mamluk sultans were renowned for their extensive acts of benevolence and charity toward the poor, the destitute, and those in need—acts that often intensified during specific occasions and circumstances that called for such generosity. This study aims to highlight the charitable deeds performed by Mamluk sultans and to examine the motivations behind them. It focuses on acts of benevolence and charity during economic crises, periods of illness and death, the holy month of Ramadan, public ceremonies and festivals, support for the inhabitants of the Hijaz, and other general circumstances. The study employs a critical historical-analytical methodology, relying on primary historical sources as well as contemporary scholarship addressing the Mamluk period. Findings reveal that Mamluk sultans frequently engaged in charitable acts, which tended to increase in times of particular need, and that such acts were not limited to the sultans alone—many princes and wealthy individuals also participated in these charitable efforts.

Keywords: benevolence, charity, almsgiving, Mamluk era.

Received: 29/06/2025 **Accepted: 14/09/2025**

المقدمة

حكم المماليك مصر وبلاد الشام زهاء قرنين ونصف من الزمان، وقد شهد العصر المملوكي الكثير من الأحداث الهامة، ليس فقط على مستوى مصر والشام، بل على المستوى العالمي، فقد تزامن نشأة الدولة المملوكية مع اشتداد الحملات الصليبية على المنطقة، وهو ما تزامن مع الهجوم المغولي القادم من الشرق، وإذا كان قد قدر للمماليك التغلب على الوجود الصليبي في المنطقة، وفي التصدي للغزو المغولي، فان الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية في الدولة، كانت حافلة.

وقد حظيت جوانب كثيرة من التاريخ المملوكي بعناية الباحثين واهتمامهم، ففصلت دراساتهم في الأوضاع السياسية للدولة سواء ما شهدته من فترات صراع على السلطة، أو فترات الاستقرار في فترات أخرى، كما درسوا الأوضاع الاقتصادية من تجارية، ونظم ضرائبية وغيرها، والأزمات الاقتصادية، وفصلوا في النواحي الحضارية وما شاده المماليك من أبنية معمارية، وما أقاموه من مؤسسات علمية وصحية، ورعايتهم للأماكن المقدسة، وفصلوا في الكثير من القضايا الاجتماعية.

ركزت الدراسات الاقتصادية على تناول الأزمات الاقتصادية التي مرت بها الدولة المملوكية، الناتجة عن انتشار الأوبئة والأمراض أو ارتفاع الأسعار وقصور مياه نهر النيل، ولكنها لم تركز كثيرا على كيفية تعاطي الدولة مع مثل هذه الأزمات، كما أنها لم تفصل في أعمال البر والخير التي كان يقوم السلاطين، والنواب، والأمراء والتجار وغيرهم، فقد عرف عن بعض السلاطين المماليك كثرة صدقاتهم للعامة وبخاصة الفقراء والمساكين والمحتاجين، ولم هذه تكن هذه الأعمال مقتصرة على فترات الأزمات الاقتصادية فقط، بل شملت أوقاتا ومناسبات أخرى كثيرة، ومن هذه الدراسات التيتناولت مثل هذه الأعمال، دراسة العصور، سعود محمد: "الأسمطة السلطانية في مصر في العصر المملوكي" (٢٠٢٣)، وهي تقتصر على الأسمطة والمأدب التي كان يقيمها السلاطين بشكل عام، ولا تختص بما كان مخصصا منها للبر على الفقراء والمساكين، ودراسة، خفاجي، محمد فرج: "الصدقات في العصر المملوكي" (٢٠١٦)، وهي دراسة جمعية لا تقتصر على الفقراء والمساكين بل تشمل الأمراء والمماليك وكبار موظفي الدولة وغيرهم، كما أنها لا تتضمن جميع حالات البر والاحسان، أما هذه الدراسة فهي دراسة تقتصر على أعمال البر والإحسان والصدقات على الفقراء والمساكين والمحتاجين ولا تتعداها إلى غيرها، وقد جاءت إضافة إلى المقدمة والخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، في خمسة مباحث، تناول المبحث الأول البر في الأزمات الاقتصادية، والمبحث الثاني: البر في حالات المرض والوفاة، والمبحث الثالث، البر في شهر رمضان المبارك، والمبحث الرابع، البر في المواكب والأعياد، والخامس، البر على أهل الحجاز، والسادس، البر في حالات عامة.

المبحث الأول: البر في الأزمات الاقتصادية:

كان من ضمن الإجراءات الكثيرة التي يقوم بها بعض السلاطين المماليك للتعاطي مع الأزمات التي كان ينتج عنها ارتفاع في الأسعار، منها الإكثار من أعمال البر والصدقة على الفقراء والمساكين والمحتاجين، فكان يتم توزيع كميات من الطعام، أو النقود أحيانا، ففي عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م، قام السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٩-١٢٧٧م)، بمعالجة ارتفاع

الأسعار بأن أمر أن تعطى الغلال للضعفاء والأرامل واليتامى مجانا، فأمر أن يعطى كل فقير كفايته مدة ثلاثة أشهر، وأمر: "أن يفرق من الشون السلطانية[١] على ارباب الزوايا في كل يوم مائة أردب[٢]، بعدما يعمل خبزا بجامع ابن طولون"[٣].

وفي عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م، أنفق السلطان العادل كتبغا (٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٤-١٢٩٦م)، سبعة عشر ألفا وخمسمائة دينار على المحتاجين، عدا عن ما تم إنفاقه على الغرباء والفقراء وهم أضعاف ذلك[٤]، وأكثر السلطان الملك الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٤٠٥م)، من عمل الطعام للفقراء، وبلغ عدد الفقراء الذين شملتهم عناية السلطان خمسة ألاف فقير[٥]، وأكثر السلطان الظاهر برقوق من توزيع الدنانير والدراهم على الفقراء والمساكين وغيرهم وصار لبعضهم من ذلك غنى[٦].

وفي سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م، في قامت الدولة في عهد السلطان العادل كتبغا، عندما حدث غلاء وارتفعت الأسعار بإخراج الغلال من الأهراء السلطانية: "وفرقت في المخابز والجرايات، لكل صاحب جراية ست جرايات في شهرين"[٧]، لتوزيع الخبز على الفقراء والمحتاجين.

وتكرر الأمر ذاته في سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م، فأمر السلطان الظاهر برقوق بإطلاق كمية من الغلال من الشون والأهراء السلطانية، وطحنها وخبزها في المخابز السلطانية، وإقامة المراكز لتوزيعها على الفقراء، وأحصى في سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م خمسة ألاف فقير، وأطلق لهم في كل يوم عشرين إردبا، لتوزع عليهم وعلى المساكين، وأهل الحبوس، وأهل القرافتين مجانا[٨]، وأضاف ابن قاضي شهبة على ما ذكر، أنه تصدق على بأكثر من خمسمائة من الفقراء بالإسطبل لكل واحد خمسون درهما[٩]، أي ما يزيد عن خمسة وعشرين ألف درهم.

وخرج السلطان برقوق بنفسه لمتابعة أحوال سكان الجيزة وتقديم المساعدة لهم، فكان يتم عمل كميات كبيرة من الطعام لتفرقتها على المحتاجين، حتى أن من كان يفوته الحصول على نوع من الطعام الذي يفرق أو كله كان يتم تعويضه عن ذلك نقدا، فقال المقريزي عن ذلك: "وفيه توجه السلطان إلى بر الجيزة وعمل في كل يوم طعاما للفقراء يفرق فيهم اللحم والمرق والخبز، فبلغ عدد الفقراء الذين يأخذون ذلك خمسة آلاف نفس، ومن فاته الأخذ من الطعام أخذ مع درهما، فان فاته الخبز وأخذ من الطعام، أخذ عوض الخبز نصف درهم، ومن فاته الطعام والخبز أخذ درهما ونصف"[١٠]، وكما قام بإبطال: "ما كان يؤخذ على القمح بثغر دمياط مما يبتاعه الفقراء وغيرهم من إردبين إلى ما دون ذلك"[١١].

ولما عادت أزمة الغلاء إلى مصر سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م أمر السلطان المؤيد شيخ المحمودي (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)، بتوزيع حوالي أربعة ألاف دينار على الفقراء والضعفاء والأرامل في منطقة القاهرة ومصر[١٢]، وقام المحتسب في سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م، بالتوجه إلى ساحل بولاق لتفرقة القمح وتوزيعه على الطحانين[١٣].

ومنح السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م)، المدرسة السيفية كمية من الغلال، لتغذية الأيتام المقيمين فيها في سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م[١٤]، ووزع فرق المؤيد شيخ في كل يوم عشرين ألف رغيف من الدقيق الأبيض على الفقراء والمساكين والغرباء القادمين للقاهرة والقاطنين بالجوامع والمدارس والخوانق ولزوايا[١٥]، وفرق السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)، في سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م الخبز على الفقراء[١٦]، وأما السلطان طومان باي (٩٠٥-٩٠٦هـ/١٥٠٠-١٥٠١م)، فقط أطلق لكل زاوية خمسة أرادب من القمح في سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م[١٧].

ولم يقتصر مساعدة الفقراء على السلاطين بل كان يقوم به بعض الأغنياء من الأمراء، والتجار، والمزارعين فجاء عند المقريزي عن غلاء سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م، قوله: "ولقد كان فخر الدين الطنبغا المساحي من جملة زرعه مائة فدان فلم يمنع أحد من الأكل منها في موضع الزرع ، ولم يمكن أحدا أن يحمل منه شيئا"[١٨]، فأكل الفقراء غالبه، بحيث انتفع من قشر الفول الفارغ الذي أكلوه بسبعمائة وستون أردبا[١٩].

ومن الاجراءات التي كان تقوم بها الدولة لمساعدة الفقراء والمحتاجين، أنها كانت تقوم بتوزيعهم على الأمراء، والتجار ولأعيان، ليقوموا بإعالتهم والتكفل بهم، ففي سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م، قام السلطان الظاهر بيبرس بتفريق الفقراء على الأغنياء والأمراء وألزمهم بإطعامهم[٢٠]. وفي سنة (٧٧٥-٧٧٦هـ/١٣٧٣-١٣٧٤م)، تم إعداد قوائم بأسماء الفقراء في القاهرة ومصر وحواضرها، وجرى بتوزيعهم على الأمراء وأرباب الأموال[٢١]، وذكر ابن عبد الظاهر أن السلطان قال لوالي القاهرة: "خذ مائة فقير، أطعمهم لله! فقال فعلت ذلك وأخذتهم دائما، فقال: ذلك فعلته ابتداء من نفسك، وهذه افعلها لأجلي! فأخذ مائة فقير، وشرع الناس في فتح الأهراء، والمخازن، وتفرقة الصدقة"[٢٢]، وقد انتدب السلطان الأمير منجك نائب السلطان لتفرقة الفقراء على الأمراء وغيرهم: "فجمع أهل الحاجة والمسكنة، وبعث إلى كل أمير من أمراء الألوف ماية فقير، وإلى من عدا من أمراء الألوف على قدر حاله، وفرق على الدواوين والتجار وأرباب الأموال كل واحد عددا من الفقراء ثم نودي في القاهرة ومصر بألا يتصدق على حرفوش، وأي حرفوش شحد صلب، فآوى كل أحد فقراءه في مكان، وقام لهم من الغذاء بما رمقهم على قدر همته وسماح نفسه، ومنع الحرافيش من التطواف لسؤال الناس"[٢٣]، وهو ما قام به أيضا السلطان برسباي سنة ٨٤١هـ/١٣٣٧م، حيث منع الحرافيش من التسول[٢٤].

وفي غلاء عام ٦٩٢هـ/١٢٩٢م، قام السلطان الأشرف خليل (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م)، بجمع الفقراء والمساكين، وأمر بإعطاء كل واحد منهم نصف درهم يتقوت به خبزا، ثم قام بتوزيعهم على الأغنياء كل حسب حالته[٢٥].

وتم عمل الشيء ذاته في الأزمة الاقتصادية (٦٩٣-٦٩٦هـ/١٢٩٣-١٢٩٦م)، قامت الدولة بجمع الفقراء وذوي الحاجات وتفريقهم على الأمراء فأرسل إلى أمير مائة فقير، وإلى أمير خمسين فقيرا، وإلى أمير العشرة عشرة فقراء "فكان من الأمراء من يطعم سهمه من الفقراء لحم البقر مثرودا في مرقة الخبز، يمده لهم سماطا يأكلون جميعا، ومنهم من يعطي فقراءه رغيفا، وبعضهم كان يفرق الكعك، وبعضهم يعطي رقاقا، فخفف ما بالناس من الفقر[٢٦].

لقد أدت هذه الأعمال إلى التخفيف من حدة الأزمة بشكل واضح حتى ذكر المقريزي أن هناك من اغتنى من خلال القيام بالتحايل على الدولة وذلك بالحصول على الخبز من عدة أماكن توزيع والقيام ببعيه، فقال عن ذلك: "وفي يوم الخميس من ربيع الآخر: ابتدأ السلطان بعمل الخبز الذي يفرق في الفقراء، وهو عشرون إردبا من القمح تعمل خبزا، وتولى ابن الطبلاوي ذلك، فعمت فقراء القاهرة ومصر وأهل السجون وسكان القرافة، فكفى الله الناس بهذا الخبز هما عظيما، بحيث لم يعرف أحدا مات في هذا الغلاء بالجوع، واغتنى جماعة منه، فغنهم صاروا يأخذون الخبز من عدة مواضع ويبيعونه، ثم يستجدون الناس أيضا"[٢٧].

ويظهر أنه كان يحدث في حالات معينة عدم ضبط في عملية التوزيع، فيأخذ الشخص مخصصات من أكثر من مكان، فقد جاء عند المقريزي شيئا من ذلك، فذكر أنه في سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م: "نزل الطواشي زين الدين فارس بمبلغ كبير من الفضة المؤيدة، وطاف على الجوامع والمدارس، والخانكاهات، وفرق في أرباب وظائفها، الفقهاء والقراء والأئمة والمؤذنين والخطباء والقومة والمترددين، مبلغا كبيرا فحصل في الأكثر لكل واحد أربعة عشر مؤيديا، وفيهم من تكرر اسمه في خمسة مواضع وأكثر، فأخذ في كل مكان نصيبا، فتوسع الناس بذلك"[٢٨].

يظهر أنه كان لأعمال البر والإحسان التي كان يقوم بها بعض السلاطين والأمراء في أوقات الأزمات الاقتصادية، أثرا ملموسا في التخفيف من حدة هذه الأزمات على الفقراء والمساكين، وهو ما يظهر من إشادة بعض المؤرخين بهذه الأعمال، أو بالنتائج التي ترتبت عليها، فقد ذكر المقريزي أن هناك من الفقراء من اغتنى في بعض الأمات الاقتصادية، كما انه لم أن أحدا منهم مات من الجوع في بعضها الآخر، وانه كان ينتج عنها التوسعة على الناس.

المبحث الثاني: البر عند المرض والوفاة

جرت عادة كثير من السلاطين والأمراء والأغنياء أن يتصدقوا على الفقراء والمساكين في حالات مرضوا هم أو أحد أفراد أسرتهم، وكذلك الحال عند الوفاة،، فقد ذكر السخاوي أن السلطان الظاهر بيبرس كانت صدقاته كبيرة، ولا سيما إذا مرض"[٢٩]، فعندما وعك، في سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٤م، تصدق بمال كثير على الفقراء[٣٠].

ونذر السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م)، إن شفي من المرض أن يقيم بيمارستانا[٣١]، وهو ما قام بعمله بعد أن شفي، ورتب فيه للأيتام رطلين من الخبز في كل يوم لكل يتيم، مع كسوة الشتاء والصيف [٣٢].

وفي مرضه في شهر محرم من سنة ٧٤٦ هـ/١٣٤٥م، فرق السلطان الصالح إسماعيل (٧٤٣-٧٤٦هـ/١٣٤٢-١٣٤٥م)، صدقات كبيرة، ورتب جماعة لقراءة البخارى"[٣٣].

وتصدق السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٣-١٣٤١م)، (٧٠٩-٨٤١هـ/١٣٠٩-١٣٣٧م)، عندما كان يمرض، أكثر مرة، فعندما شفي في سنة ٧١١هـ/١٣١٢م، قام بتوزيع ألف دينار من ماله الخاص لافتكاك المحبوسين بسبب الدين، كما وزع الأموال على الأيتام من أبناء الجند المتوفين مدخرا هذا العمل عند رب العالمين[٣٤]. وعند شفائه من المرض فرق مالا على الفقراء والمساكين، وتصدق على الأطباء، وعلى أهل القرافتين[٣٥]، وفي مرضه في سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م، أخرج مالا فرق في جماعة من الناس على سبيل البر والصدقة[٣٦].

وعندما توفي أكبر أبناء السلطان الظاهر برقوق في سنة ٧٩٧ هـ/١٣٩٥م، عمل له كفارة عظيمة، وقرر عند قبره القراء سبعة أيام، وعملت عنده المآتم وذبحت الذباح وفرقت في الصوفية والمترددين[٣٧].

وتصدق السلطان الظاهر برقوق في مرضه سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م، على الفقراء والمساكين بثمن فرسه البالغ ثلاثمائة وسبعين ألف درهم[٣٨]، كما تصدق به في مرضه سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، "على القراء والعلماء بأربعة عشر ألف دينار وستة وتسعين دينارا، خارجا عما أنعم به على العجائز والأرامل والأيتام"[٣٩].

وكما تصدق الناصر فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٨-١٤١٢م)، على الفقراء عندما مرض بمرض قيل أنه الدوسنطاريا بثمن فرس يبلغ مائتي ألف درهم[٤٠]، وبعد شفائه تصدق السلطان المؤيد شيخ المحمودي سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، بمال كثير على الفقراء والفقهاء[٤١]، وهو الشيء ذاته الذي فعله السلطان خشقدم في مرضه سنة ٨٧٢هـ/١٦٨م، حينما تصدق على الفقراء بثمن فرس باعه بخمسمائة دينار، وقيل باعه بألف دينار، ويظهر أنه كانت هذه عادة قديمة عند السلاطين، أنه إذا مرض، يبيع فرسا ويتصدق بثمنه على الفقراء، وهو ما كان قد فعله الظاهر برقوق والأشرف برسباي[٤٢].

وعند وفاة زوجة السلطان الأشرف برسباي فاطمة بنت قجا في سنة ٨٢٧ هـ/١٤٢٤م، حزن السلطان عليها حزنا شديدا، فجعل القراء يقرأون القرآن الكريم، وأقام سماطا لمدة ستة أيام عند قبرها[٤٣].

وعندما مرض السلطان الأشرف برسباي في سنة ٨٤١ هـ/١٤٣٧م، رسم أن يفرق من خزائنه مالا على سبيل البر والصدقة في جماعة من المستحقين، وعندما شفي خلع على الأطباء بسبب عافيته، كما زار القرافة وتصدق بمال جزيل على الفقراء والمستحقين[٤٤]، فقال ابن إياس عن ذلك "أنه تصدق على الفقراء بنحو ثلاثة آلاف دينار ، وعندما شفي زار القرافة وخلع على والأطباء"[٤٥].

وفي مرضه سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م، فرق السلطان قايتباي مبلغ ألف دينار على الفقراء حيث كلف قطب الدين الخضيري[٤٦]، توزيع هذه الصدقات[٤٧]، وذكر السخاوي عن ذلك أن السلطان فرق على بعض الفقراء والصوفية من خمسة أصناف من الأطعمة صدقات في وقت مرضه[٤٨].

وتصدق السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥-٧٨٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م)، في مرضه سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، بثمن فرس باعه بألف دينار[٤٩]، وبعد شفاء السلطان قانصوة الغوري (٩٠٢-٩٢٢هـ/١٤٩٧-١٥١٦م)، زينت القاهرة، وفرق المحتسب الزيني الصدقات على الفقراء[٥٠].

يتضح أن عددا من السلاطين كانوا يقومون بزيادة أعمال البر والإحسان التي كانوا يقومون بها في حلالات عانوا من المرض، أو عند الشفاء، وكذلك عند حالات وفاة أحد أفراد أسرهم، فيقومون بتوزيع الأموال على المحتاجين، وعمل الأسمطة ودعوة الفقراء والمحتاجين إليها.

المبحث الثالث: البر في شهر رمضان المبارك

وجرت عادة كثير من السلاطين والأمراء والأغنياء زيادة الانفاق على الفقراء والمحتاجين في شهر رمضان المبارك، وهو ما أطلقت عليه لاحقا بعض المصادر التاريخية اسم التوسعة الرمضانية[٥١]، فقد كان السلطان الظاهر بيبرس: "يرتب في أول شهر رمضان بمصر والقاهرة مطابخ لأنواع الأطعمة، وتفرق على الفقراء والمساكين"[٥٢]، ويفتح في ليالي شهر رمضان مطابخ القاهرة لكل الفقراء والمحتاجين، وكان يصرف لهم في كل ليلة ما يكفيهم، من الخبز واللحم المطبوخ، ويكسو ستمائة كسوة[٥٣]، فكان يتم إطعام خمسة آلاف نفس في كل ليلة برسم الصدقات[٥٤]، كما أنه كن يعتق في كل شهر من رمضان ثلاثون نسمة[٥٥]، وقد قال المقريزي عن ذلك: "وكان يطعم في كل ليلة من ليالي شهر رمضان خمسة آلاف نفس، ويكسو في كل سنة ستمائة كسوة خارجا عما يطلقه من الكساوى، وكان له من الخبز ألفا قنطار وخمسمائة في كل يوم"[٥٦]، وقال العيني

أنه قام بتوزيع كميات من الطعام على الضعفاء والأرامل، فأجرى الصدقات عليهم، ورتب لهم مطابخ لإفطار الصائمين[٥٧]، أما الصيرفي فقال: "وفي شهر رمضان من سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٣م، رسم السلطان الظاهر بيبرس بألف دينار تفرق على العلماء والصلحاء والفقراء مثل شيخ الإسلام محي الدين الكافيجى والشيخ سراج الدين العبادى والشي زكريا وأهل القرافة وغيرهم"[٥٨]. وكان السلطان برقوق "يذبح دائما، طوال أيم إمارته، وسلطته، في كل يوم من أيام شهر رمضان، خمسة وعشرين بقرة، يتصدق بها، بعدما تطبخ، ومعها آلاف من لأرغفة من الخبز النقي، على الجوامع، والمشاهد، والخوانك، والربط، وأهل السجون، لكل إنسان رطل لحم مطبوخ، وثلاثة أرغفة، من نقى البر، سوى ما كان يفرق في الزوايا من لحم الضأن، فيعطي في كل يوم لكل زاوية، خمسون رطلا، وعدة أرغفة خبز، وفيهم من يعطى أكثر من ذلك، بحسب حالهم، ويفرق في كل سنة، على نحو عشرين زاوية، لكل زاوية ألف درهم فضة"[٥٩].

وقد استحدث السلطان الأشرف قايتباي بعض الأعمال الخيرية في شهر رمضان للعلماء والطلبة وغيرهم، فزاد في رواتبهم، وهي ما سميت التوسعة الرمضانية، واستمرت هذه التوسعة نحواً من عشرين سنة، ثم أنقص منها على يد خشقدم الطواشي[٦٠]، وكان المقرر لأرباب الرواتب وجامكيات المستخدمين بالباب والأعمال، وما ينفق في الفقراء مائة ألف دينار ألف وعشرون دينارا، إضافة إلى أن الذي تقرر برسم الصدقات في شهر رمضان ، إطعام خمسة آلاف نفس في كل ليلة. وقد قال ابن عبد الظاهر عن ذلك: "صدقة السر في دولته، من أوقافه المرصدة لذلك، في السنة ما يناهز ستمئة كسوة، خارجا عما يطلقه الله على يديه من الكساوي في كل سنة وهي جملة من القماش؛ ومن الخبز ألف قنطار، ومن العبيد الذين يعتقهم في شهر رمضان وعدنهم ثلاثون عبدا"[٦١].

وعن هذه التوسعة قال ابن إياس: "رسم السلطان للقاضي عبد الغني بن الجيعان بأن يفرق على الفقهاء والعلماء توسعة في شهر رمضان لعيالهم، واستمر ذلك عملا في كل شهر رمضان مدة أيام الأشرف قايتباي إلى أن مات، ثم تناقص ذلك بعده"[٦٢].

وجرت عادة بعض السلاطين في شهر رمضان المبارك وغيره، على تخصيص مبالغ مالية لافتكاك الغارمين والمسجونين على ديون غير قادرين على سدادها، فكان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٩-١٢٧٧م)، "يخرج في كل سنة أموالا كثيرة يستفك بها من حبسه من القاضي من المقلين"[٦٣]، وعندما شفي السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧١٥هـ/١٣١٦م، تصدق السلطان محمد بن قلاوون بمال لفك حبس المسجونين بسبب الدين وكان قد نذر إنه إن تعافى سيطلق كل المسجونين بسبب الدين[٦٤]. وأطلق السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م)، وفي مرضه سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، جماعة من السجناء من الرجال والنساء ممن عليهم دين، حيث كما عرض الدوادار المحابيس في السجون الأربعة، وكذلك النساء، فأطلق منهم جماعة ممن عليهم دين، وقيل أنه دفع دينهم من ماله الخاص وأرضى أصحاب الديون[٦٥]. وافتدى السلطان الظاهر برقوق في شهر رمضان سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م، الغارمين من أصحاب الديون، ودفع ديونهم من ماله الخاص[٦٦]، وقام السلطان الصالح إسماعيل في مرضه في سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥، بالإفراج عن جميع المسجونين[٦٧]، وبعد شفاء السلطان قانصوة الغوري من المرض أطلق كل السجناء الغارمين[٦٨].

وفي سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م، أصدر السلطان برقوق مرسوما بإحصاء الغارمين، ودفع قيمة ديونهم للأمير جركس الخليلي الذي صالح عنهم، وتم اطلاق سراحهم، وعن ذلك قال الصيرفي: "وفيه برز المرسوم الشريف بكتابة أسماء المسجونين في سجن القضاة على الديون الشرعية والحقوق الشرعية فكتبوا، فرسم السلطان أن يصالحوا غرماءهم بمال، ودفع السلطان ذلك للأمير جركس الخليلي فصالح عنهم وحصل لهم الفرج والفرح، فتضاعفت الأدعية للسلطان ولمن كان السبب في هذا المعروف والإحسان"[٦٩].

وفي سنة ٨٤١/١٣٣٧م، أفرج السلطان الأشرف برسباي عن جميع المسجونين حتى أرباب الجرائم، وأغلقت السجون بالقاهرة ومصر، وانتشرت السراق والمفسدون في البلد، وامتنع من له عند شخص حق حتى أن يطالبه به[٧٠].

وفي شهر رمضان من سنة ٨٧٦هـ/١٤٧٢م، عرض السلطان الأشرف قايتباي محابيس المقشرة، وأطلق منهم جماعة، وكان به شخص له نحو ثلاثين سنة، فعمل على مصلحته، ووزن عنه للمداينيين مبلغا له صورة وأطلقه[٧١]، وفي شهر رمضان من سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م، أفرج السلطان قانصوة الغوري عن جماعة من المحبوسين على دين بعد أن سدد ديونهم[٧٢]، وفي ٩١٢هـ/١٥٠٦م، عرض المحابيس من الرجال والنساء وأطلق منهم جماعة وصالح عنهم من أرباب الديون من ماله[٧٣]، وفي سنة ٩١٤هـ/١٤٠٩م، عرض السجناء وأطلق جماعة من رجال ونساء، وأبقى الفلاحين وأصحاب الجرائم[٧٤].

يتضح أن كثير من السلاطين كانوا في شهر رمضان المبارك، يقيمون الأسمطة يكثرون من عمل الأسمطة والمأدب وزيادة كميات الأبقار والأغنام المذبوحة، وزيادة توزيع الطعام على الجوامع، والمشاهد، والخوانك، والربط، وأهل السجون، كما أنهم كانوا في شهر رمضان أو في غيره يخصصون مبالغ مالية لافتكاك حبس الغارمين والمسجونين على ديون غير قادرين على سدادها، فيتم تسديد ديونهم للدائنين.

المبحث الرابع: البر في المواكب والأعياد

جرت العادة أن يقوم بعض السلاطين عند الخروج في مواكب، أو في بعض المناسبات والأعياد، بتوزيع الأموال على الفقراء والمساكين، أو دعوتهم أو دعوتهم لتناول الطعام على الأسمطة التي كانوا يقيمونها، وقد وصف ابن عبد الظاهر أحد مواكب السلطان الظاهر بيبرس واقامته لتشريف بشربوش في سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٦م، فقال: "وحصل الاهتمام بأمر السماط، ونقل بسببه من أصناف الحوائج ما لا يعد ولا يحد؛ وسيق له من الأغنام ألوف كثيرة، ومدت الأسمطة، وحضر السلطان والناس في خدمته؛ ولما أخذ الناس حاجتهم من الطرف، وفرغوا من أكل الشرف والسرف أبيحت الأطعمة والحلاوات للعالم، فأخذوا ونقلوا واطلطخوا بعد أن اقتتلوا، واحضرت التقادم، فبقي السلطان يقبل ذلك استحسانا، ويرده جودا واحسانا، ويأخذه بنظره، وينعم به على من محضره، وجبر قلب بعض الكثرين بأخذ الشيء اليسير... "وختم ذلك بتفرقة الصدقات المبرورة، فكم أطعم من جائع وكسي عاري الجسد، وكم أطلق محبوس واهي الجسد، وكم عم سرور ما بقي هم يدور في خلد، وكل ما جمعه القلم، وفرقه الكرم، ما سمع أن أحدا ظلم فيه بمثقال ذرة، ولا سمع أن أحدا من أهل الطرب ارتزق بشيء في هذا المهم"[٧٥].

وفي سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٣م، رسم السلطان الظاهر بيبرس للفقراء بمبلغ ثماني مائة دينار في كل موكب من مواكبه، وقد وصف الصيرفي ذلك فقال أنها كانت: "تفرق عليهم بالإصطبل السلطاني، فإنهم كانوا يصعدون إلى السلطان في كل موكب من مواكب

حكمه وقد انتهت به الخدمة هذه السنة، أخبرني بذلك رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصاري حفظه الله. ورأيت بعض الفقراء ممن حضر التفرقة وذكر أنه حصل له تسعة أنصاف وقيل أكثر، وقيل أقل، فالله يتقبل منه قبولا حسنا جميلا"[٧٦].

وعند خروجه لمحاربة الصليبيين سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، تصدق السلطان الأشرف خليل بن قلاوون عند قبر أبيه بمال كثير وكساوي على القراء والفقراء، كما تصدق بمال وثياب في أهل المدارس والزوايا والخوانك والربط[٧٧].

وبمناسبة الانتهاء من إنشاء قصر الأشرفية في سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م، أقام السلطان الأشرف خليل بن قلاوون سماطا عظيما بلغت كلفته ثلاثمائة ألف دينار وذبح من الغنم ثلاثة آلاف رأس ومن البقر ٦٠٠ رأس، ووقف الخزندارية بأكياس الذهب لتوزيعها على الفقراء[٧٨].

وأقام السلطان الناصر محمد بن قلاوون وليمة كبيرة في افتتاح القصر الكبير سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م، وجمع القضاة والفقهاء وسائر الأمراء وعوام المصريين وفقرائهم، وقراء خدمة القرآن، ومد سماطا كبيرا وملأ الفسقية التي بالقصر ووقف رؤوس النواب على الفسقية يوزعون السكر بالطاسات، وأخلع السلطان في ذلك اليوم على المهندسين والبنائين والمرخمين والنجارين والدهاقين وفرق على كل العاملين الذين قاموا بتشييد القصر لكل منهم عشرة دنانير وفرق على الفقراء نحو خمسين ألف دينار[٧٩].

وعندما خرج برقوق لقتال تيمور لنك سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م، خرج إلى قبر السيدة نفيسة، وقبر الإمام الشافعي وتصدق على الفقراء[٨٠]، حيث قال ابن تغري بردي أن صدقته هذه على الفقراء كانت بمال كثير خارج عن الحد[٨١]، وفرق السلطان الغوري في سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م، الصدقات وعمل أسمطة طعام للفقراء احتفالا بانتصار العثمانيين على الصوفي وملك منه أزربكان وتبريز، فقال ابن إياس عن عمله هذا أنه عد من محاسن السلطان[٨٢]، وكذلك تصدق على الفقراء والمساكين أمام قبر الإمام الشافعي وقبر الإمام الليث بن سعد عندما خرج لمقاتلة العثمانيين في مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م[٨٣].

وفي موكب الزعفران سنة ٨٧٦هـ/١٤٧٢م، ضبط ما فرقه السلطان الأشرف قايتباي على الفقراء وأرباب الديون في هذه المدة، فكان نحوا من ثمانمائة دينار[٨٤].

وفي موسم عاشوراء سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م، أمر السلطان قانصوة الغوري بأن تجمع الفقراء والحرافيش عند سلم الدرج، فاجتمع هناك الجم الكبير من الفقراء والحرافيش، ونزل السلطان بنفسه ووقف وهو راكب على فرسه تحت سلم الدرج وصار يعطي لكل إنسان من الفقراء من رجل وإمرأة وكبير وصغير أشرفيا ذهبا، فوقع الازدحام بين الفقراء حتى قتل منهم في ذلك اليوم ثلاثة أنفار من شدة ازدحامهم، فكان كما يقال في المعنى: فيا له من عمل صالحيرفعه الله إلى أسفل

وقيل أنه فرق في ذلك اليوم نحوا من ثلاثة آلاف دينار فارتفعت الأصوات له بالدعاء، فلما رأى ازدحام الفقراء لم ينزل مرة أخرى ولم يفرق شيئا وكان قصده يفرق على الفقراء مرة أخرى[٨٥].

وفي افتتاح المدرسة الظاهرية التي أنشأها قام السلطان الظاهر برقوق في سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، بعمل سماط كبير مشحون بأجود أنواع الأطعمة واللحوم والفواكه والحلويات وأكل منه الأمراء والعلماء والفقراء[٨٦].

وفي ذكرى المولد النبوي الشريف سنة ٧٩٢هـ/١٤٨٥م، وزع على الوعاظ أربعمائة درهم لكل واحد منهم، وشقة حرير، وكان عددهم عشرون واعظا، كما وزع على القراء خمسمائة درهم لكل واحد، وكان عددهم أكثر من الوعاظ، كما عمل للفقراء

سماطا م قداره عشرة أسمطة من الأسمطة الهائلة، فيه ما يستحي عن ذكره من الأطعمة الفاخرة والحلوى[٨٧]، وقيل أنه فرق في الفقراء ومشايخ الزوايا الصوفية أكثر من أربعة آلاف دينار، كما فرق مشايخ الزوايا القمح من الأهراء السلطانية، لكل واحد بحسب حاله وقدر فقرائه واحتياجه[٨٨].

وفي بداية شهر المحرم من سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م، فرق المؤيد شيخ على الفقراء والمنقطعين في الزيارات على يد الطواشي فارس الخندار بأربعة ألاف دينار، وألف أردب قمح والقمح في قوة تشحيطه"[٨٩].

وجرت العادة أن من جرت عليه الزكاة في شهر محرم أن يؤجلها ليوم عاشوراء[٩٠] حتى بلغ بأحد الأثرياء وهو إبراهيم عرفات القناوي من صعيد مصر بأن يتبرع للفقراء في هذا اليوم بألف دينار[٩١].

ولما اكتمل بناء الجامع المؤيدي في سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م، أقام السلطان المؤيد شيخ السماط العظيم وأكل كل الناس ونهبوا وارتووا بالسكر المذاب وحملوا منه ومن الحلوى ما استطاعوا حمله[٩٢].

وعمل السلطان الغوري في سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م، عند انهاء العمل في مدرسة الغوري بالقاهرة، وليمة كبيرة قدم فيها الطعام للأمراء والفقراء[٩٣].

وكان السلطان الأشرف قايتباي يقوم بالتوسعة على الفقراء في كل ليلة من ليالي المولد النبوي، وكان ينثر عليهم الذهب نثرا[٩٤]، ويقوم بإقامة السماط لإطعام الفقراء بالقلعة[٩٥].

يظهر أن المواكب السلطانية بالإضافة إلى الأعياد والمناسبات الدينية كانت مجالا للإكثار من أعمال البر والإحسان والصدقة على المحتاجين وبخاصة ذكرى المولد النبوي الشريف أو يوم عاشوراء، أو في افتتاح بعض العمائر كالمدارس أو المساجد أو القصور وغيرها، أو عند الخروج للحرب، حيث يكثرون من توزيع الأموال وتعمل الأطعمة.

المبحث الخامس: البر على أهل الحجاز

كان كثير من السلاطين يقدمون الأموال والمواد الغذائية لفقراء الحجاز على سبيل الصدقة، أو يقدمون المواد العينية للمؤسسات الخيرية، أو شراء العقارات ووقفها على فقراء مكة والمدينة، ففي سنة ٧٦٦ هـ/١٣٦٥م، ارتفعت الأسعار وكان الغلاء بمكة، فأرسل الأتابك غلالا كثيرة، يقال أنها اثنا عشر ألف إردب من القمح، ففرقت هناك، ورسم بإسقاط المكوس من مكة، ما عدا الكارم والخيل وتجار العراق، وعوض أمير مكة عن ذلك بضيعة، وحمل إليه نحو ألفي مثقال ذهبا[٩٦].

وكان السلطان برقوق، يبعث في كل سنة إلى الحجاز ثلاثة آلاف أردب قمحا، تفرق بالحرمين[٩٧].

وفي سنة ٧٨٧ هـ/١٣٨٥م، أرسل الأمير جركس الخليلى إلى مكة خمس مائة إردب قمحا وإلى المدينة مثلها، لتفرق على الضعفاء والفقراء والمجاويج دون تفرقة، وهي ما أدت إلى أن كف: "غالب الناس عن السؤال ولم يبق أحدا من الفقراء جائعا، ونفع وانتفع. معناه: نفع في الدنيا وانتفاع في الأخرى، فجزاه الله خيرا"، كما قال عن ذلك ابن الصيرفي[٩٨].

وفي رحلته للحج في سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م، تصدق السلطان الأشرف قايتباي على فقراء المدينة بخمسة آلاف دينار، ومثلها على فقراء مكة[٩٩]، وقد وصف السخاوي الذي كان مقيما بمكة في ذلك العام بالقول: "تصدق على أهل الحرمين بالكثير، وقرر

أمر مدرسته ورباطه، ورجع بعد ثمانين يوما وقد ظهر من تواضعه وخشوعه في طوافه وعبادته ما عد في حسناته"[١٠٠]، وفي أثناء عوته إلى مصر زار المدينة المنورة وأمر بالتصدق بخمسة ألاف دينار[١٠١].

وفي رحلته هذه، وبعد معايشته أحوال الناس في المدينة المنورة[١٠٢]، أمر بعد رجوعه إلى القاهرة بالتبرع بمبلغ ستين ألف دينار ذهبا لشراء أوقاف تتمثل في قرى، ضياع، ومحلات ليكون ريعها للفقراء والمساكين فيها[١٠٣] لتوفير مستلزمات الفقراء من الخبز والزيت[١٠٤].

وقد تم الانتهاء من هذا العمل الخيري عام ٨٨٨/١٨٤٣م، بعد أن أتم السلطان شراء: "أملاكا ورباعا ورزقا بنحو المائتي ألف دينار وجعلها وقفا مبتدئا على المدينة المشرفة لأنواع بر ووجوه خير"[١٠٥]، وقد ذكر السخاوي هذا العمل فقال عن ذلك أنه وزع على أهل المدينة والوافدين فيها: "أزيد من سبعة ألاف أردب قمح، ليفرق على كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، حرهم وعبدهم، ذكرهم وأنثاهم، بالتسوية بينهم، خمسة أمداد كل شهر، ويعمل منه دشيشية في كل يوم للغرباء"[١٠٦]. كل هذه الصدقات من ريع أوقاف السلطان في المدينة، ويظهر أن إقدام السلطان على القيام بهذا المشروع الكبير هو ما شاهده من صعوبة وضع الناس في المدينة كما ذكر كل من ابن اياس وابن شاهين الظاهري، فقال ابن اياس: "رأى أهل المدينة المشرفة في فائدة زائدة من عدم الأقوات، فنذر مولانا السلطان في نفسه بأن يفعل بالمدينة المنورة خيرا يكون مستمرا بعده"[١٠٧]، وقال ابن شاهين الظاهري: "أن مولانا السلطان لما حج في العام الماضي (عام ٨٨٤هـ/١٤٧٩م) رأى ما به أهل المدينة المشرفة من الفقر والفاقه والقحط من عدم الأقوات، فأضمر في نيته بأن يفعل بها من الخير ما يذكر به ويعم بذلك الناس"[١٠٨]، وأضاف ابن اياس عن ذلك قائلا أن السلطان: "قد أخرج هذا المال لله تعالى، وهو من وجه حل من خالص ماله دون بيت مال المسلمين"[١٠٩]، وقد وصف ابن شاهين الظاهري قائلا: "(و) فيه، بعد العصر حضر زين الدين بن مزهر كاتب السر، والبدر أبو البقاء بن الجيعان، وخشقدم الزمام، وهم مشاة إلى جهة السلطان ومعهم ستة طواشية بستة أطباق على روسهم حطت بحضرة السلطان ومن حضر هذا المجلس، وكان بها من الذهب النقد العين ستون ألف دينار، فبدأ السلطان بالكلام فأخذه زين الدين بن مزهر منه وقال لمن حضر : "إن مولانا السلطان لما حج العام الماضي رأى ما به أهل المدينة المشرفة من الفقر والفاقة والقحط من عدم الأقوات، فأضمر نيته بأن يفعل بها من الخير ما يُذكر به ويعمّ به الناس، بالمدينة المشرفة، وقد ميز من خالص ماله هذا المقدار وأرصده ليشتري به ما يوقفه على فقراء المدينة وأهلها ما بين قرى وضياع ورباع وغيرها ليجمع من ذلك ما يجمع بالمدينة في كل يوم من الدشيشة والخبز والزيت وغير ذلك، وجعل ذلك وقفا مبتدئا على المدينة إلى غير ذلك من نمط الكلام.

ثم أمر السلطان أن يكون هذا المال تحت يد القضاة أو الأتابك أو يشبك الدوادار، فامتنع القضاة من ذلك واعتذروا، وتعذّر الحال بأن يكون نصف هذا المال تحت يد يشبك ليشتري بذلك أرزاقا وأملاكا، والنصف تحت يد السلطان. وانتهى المجلس على ذلك[١١٠]. ويضيف قائلا: "وقام كاتب السر في أثناء ذلك المجلس وتكلم بأشياء كثيرة عن لسان السلطان، وأنه اشترى أملاكا ورباعا ورزقا بنحو المائتي ألف دينار وجعلها وقفاً مبتدئاً على المدينة المشرفة لأنواع برّ ووجوه خير، وأخذ في تفصيلها حتى انتهى. وذكر أن السلطان أبطل جميع المكوس التي بالمدينة الشريفة، وعُوّض صاحب المدينة عن ذلك أف إردب من القمح"[١١١].

يظهر أن الحجاز (مكة والمدينة)، كان لهما نصيب كبير من أعمال البر والصدقة، فكان كثير من السلاطين يقدمون الأموال فيهما على سبيل الصدقة على الفقراء والمساكين فيهما، وكذلك يرسلون موادا عينية وبخاصة القمح لتوزع خبزا على المحتاجين، كام قاموا كما فعل السلطان الأشرف قايتباي بشراء عقارات ووقفها على الفقراء والمساكين والمحتاجين.

المبحث السادس: البر في حالات عامة

كثيرا ما كان السلاطين يقومون بأعمال من البر على الفقراء والمساكين والمحتاجين دون أن يكون هناك منسبة عامة، كتوزيع الأموال، أو تقديم إعانات أو مساعدات إلى أسر أشخاص توفوا، أو تعرضوا لحوادث أودت بأموالهم وما إلى ذلك، فقال ابن تغري بردي عن السلطان الظاهر بيبرس: "وأما صدقاته فكان يتصدق في كل سنة بعشرة آلاف إردب قمح في الفقراء والمساكين وأرباب الزوايا، وكان يرتب لأرباب الأجناد ما يقوم به على كثرتهم، ووقف أوقافا على تكفين الغرباء بالقاهرة ومصر، ووقفا ليشتري به خبز ويفرق في فقراء المسلمين"[١١٢].

ففي سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م، سقط نجار كان يصنع شيئا ببعض طباق القلعة، فمات، فصعد أهله للسلطان، وأنهوا إليه أنه فقير الحال وله عيال، وهم يلتمسون شيئا من صدقات السلطان، فأمر السلطان الأشرف قايتباي بمائة دينار يشترى لأبنه ملكا، يستغله من الذخيرة، وأمر للميت بثوب بعلبكي وثلاثة دنانير يجهز بها[١١٣]، كما أمر في نفس العام بإعطاء شخص لقيه خمسة دنانير لشراء دابة بدلا من دابته الضعيفة بعد أن شكى له الرجل ضيق حاله[١١٤].

وفي سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، رسم السلطان فرج بن برقوق للفقراء بمال كبير يفرق فيهم فاجتمع تحت القلعة منهم عالم كبير وازدحموا لأخذ الذهب، فمات في الزحام منهم سبعة وخمسون شخص، ما بين رجل ومرأة وصغير وكبير[١١٥].

وأورد السخاوي أن صدقات البدر جنكلى بن محمد البابا العجلي بلغت بعد اخراج الزكاة ثمانية آلاف إردب من قمح، وثمانين ألف درهم فضة، وأنه كان بهيا جوادا، يحب العلماء ويطارحهم... [١١٦]، كما قال أن الأمير شيخو ترك صدقة بر وسكون، وقضاء لحوائج الناس، ومعروف كثير[١١٧].

وفي شهر المحرم من سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م، فرق السلطان شيخ المحمودي على الظواشي فارس مبلغا وافيا من الفضة في الجوامع والمدارس والخوالنق، ثم فرق على المشايخ أيضا، وزيدوا مع المال القمح، ثم فرق في أهل المسألة من الفقراء، وكان جملة ما فرق آربعة ألف دينار، عم بها النفع الكثير من الناس[١١٨].

وفي سنة ٨٤١ هـ/١٤٣٧م، ركب السلطان جقمق من قلعة الجبل قاصدا خليج الزعفران فأقام به يومه وعاد إلى القلعة في آخره، وفرق في الفقراء فضة وذهبا لكنهم تكاثروا على الخازندار وتعلقوا به فسقط فحنق السلطان وطلب السلطان الحرافيش وشيخ الطوائف ورسم لهم بمنع الجعيدية من السؤال في الأسواق وأن يلزموهم بالتكسب في الصنائع، ومن وجد منهم بعد ذلك يسأل قبض عليه وجهز ليعمل في الحفير، فامتنعوا من السؤال وخلت الأسواق منهم والبقاع، ولم يبق منهم من يسأل سوى الزمنى والعميان وأرباب العاهات، ولم عهدنا مثل هذا في زمن من الأزمان؛ نعم في أيام الغلاء كان الملوك يمنعون الفقراء من السؤال ويرتبون لهم ما يكفيهم من الإدام والخبز والطعام[١١٩].

وفي زيارة للسلطان الأشرف قايتباي لسوق الهرامزة في سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، قدم لرجل احترق محله بما فيه خمسمائة دينار ليسدد منها ثلاثمائة دينار من ديونه، ويتاجر بالباقي، بعد أن شكى له الرجل وضعه السيء بعد احتراق محتويات محله البالغة ألف دينار، وأن عليه سبعمائة دينار دينا، وأنه لم يعد يملك شيئا، وقد ذكر ابن شاهين الظاهري أن هذه الأعمال الخيرية "عدت من محاسن السلطان"[١٢٠].

وكان بعض السلاطين يقدمون بتقديم أمولا لشراء القمح لبعض المؤسسات الخيرية كسماط الخليل، رغم الأوقاف الكثيرة التي كانت مخصصة لهذا السماط[١٢١] فقد أنعم السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق (٨٤٢–٨٥٧هـ/١٤٣٨– ١٤٥٣م)، على (القدس والخليل) بألفين وخمسمائة دينارا، ومائة وعشرين قنطارا من الرصاص برسم العمارة، ومائة وعشرين غرارة[١٢٢] من القمح، القيمة عنها ثلاثة ألاف وستمائة دينار"[١٢٣]، وأنعم السلطان إينال على جهتي الوقفين (القدس والخليل)، في سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م بألف ومائتي إردب من القمح، بقيمة أربعة آلاف وثمانية دنانير[١٢٤]، وأما السلطان خشقدم فقد أنعم على جهة الوقف الخليلي بستين غرارة قمح، القيمة عنها ثمانمائة وأربعون دينارا[١٢٥].

ولم يكن أمر البر والإحسان على ما يقدم للمؤسسات الخيرية في القدس والخليل، بل كان يتم توزيع مواد مبالغ مالية على المحتاجين فيهما، وبخاصة عند زيارة السلاطين لهما، الأمثلة على ذلك ما قام به السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م)، عندما زار القدس والخليل[١٢٦]، وتصدق فيهما بستة ألاف دينار على الفقراء والمساكين[١٢٧].

ولم تقتصر أعمال البر على والإحسان على السلاطين، وإنما كان يقوم الأمراء والأغنياء بالكثير من هذه الأعمال، فقد كان الأمير قلطماي العثماني (ت: ٨٠٠ هـ/١٣٩٧م)، يبر الفقراء والمساكين ويساعدهم[١٢٨]، وكان أخى محمود بن أحمد بن يوسف العينتابى (ت: ٨٠٠ هـ/١٣٩٧م)، رجلا صالحا كريما يأكل في زاويته كل يوم من الفقراء والمساكين مائة وخمسون نفسا من كد يمينه وعرق جبينه حسبة لله تعالى[١٢٩]، وأما بشتاك الناصري (ت: ٧٤٢هـ/١٣٤١م)، فقد أنفق لما حج في الطريق والحرمين من الأموال ما لا يحصى، وكان عطاؤه من ألف دينار إلى دينار، ويقال: إن جملة ما أنفقه في حجته أربعمائة ألف درهم وثلاثون ألف دينار[١٣٠]، وعرف عن طشتمر البدري (ت: ٧٤٢هـ/١٣٤١م)، أنه كثير الصدقة، وكان يذبح في ليالي رمضان بقرا وغنما كثيرا ويتصدق به[١٣١].

وكثيرا ما كان بعض السلاطين يقدمون على تقديم بعض المساعدات لبعض الأشخاص الذين يكونون بحاجة لمعونة طارئة أو تقديم القمح لبعض المؤسسات الخيرية، أو زيارتهم لبعض المدن كالقدس والخليل، وأن عمليات البر والإحسان لم تكن مقتصرة على السلاطين وحدهم، بل شاركهم فيها الكثير من الأمراء والأغنياء.

الخاتمة:

أظهرت الدراسة أن هناك عددا لا بأس به من السلاطين المماليك قد حرصوا على القيام بالكثير من أعمال البر والحسان والصدقات على الفقراء والمساكين والمحتاجين، وكانت أعمال البر والإحسان هذه يتم مضاعفتها وزيادتها بصورة كبيرة وبخاصة في أوقات الأزمات الاقتصادية وارتفاع الأسعار حيث يزداد عدد الفقراء والمحتاجين، حيث كانت هذه الأعمال تساهم إلى حد في التخفيف من حدة هذه الأزمات وبخاصة على الفقراء والمحتاجين.

ويتضح أن أعمال البر والإحسان كانت يتم القيام بها بطرق وأساليب مختلفة ومتعددة، وتراوحت ما بين توزيع مبالغ نقدية في بعض الأحيان، وتوزيع الغلال وبخاصة القمح على في حالات أخرى، أو كلاهما معا، وكثيرا ما كان يتم توزيع هذه الغلال على المخابز لخبزها وتوزيع الخبز في أماكن التوزيع التي كان يتم تخصيصها لذلك.

ومن الطرق التي كانت تتبع في توزيع الصدقات هي عمل الأسمطة والموائد ودعوة الفقراء والمحتاجين إليها لتناول الطعام، كما كان في بعض الحالات وخاصة في الأزمات الاقتصادية وارتفاع الأسعار، يتم توزيع الفقراء على الأمراء والأغنياء لكي يتكفلوا بإطعامهم وإعالاتهم.

وكما أظهرت الدراسة أنه كان يتم مضاعفة البر والإحسان في حالات المرض، والشفاء من المرض، وعن المتوفين، حيث يتم توزيع الأموال على المحتاجين، وعمل الأسمطة، وكذلك الحال في المناسبات والأعياد والمواكب السلطانية وفي كثير من الحالات العامة، وفي شهر رمضان المبارك الذي كان يكثر فيه عمل الأسمطة والمأدب وزيادة كميات الأبقار والأغنام المذبوحة، وزيادة توزيع الطعام على الجوامع، والمشاهد، والخوانك، والربط، وأهل السجون.

ويتضح أن جزء من أعمال البر والصدقات كانت تخصص لافتكاك حبس الغارمين والمسجونين على ديون غير قادرين على سدادها بعد تسديد ديونهم للدائنين، بحيث كان كثيرا في افتكاك جميع المحبوسين.

كما يظهر أن المواكب السلطانية بالإضافة إلى الأعياد والمناسبات الدينية كذكرى المولد النبوي الشريف، أو عند افتتاح بعض العمائر كالمدارس أو المساجد أو القصور وغيرها، حيث يكثرون من الصدقة وعمل الولائم والأطعمة.

وأظهرت الدراسة أن الحجاز وتحديدا مكة والمدينة كان لهما نصيب كبير من أعمال البر والصدقة، فكان كثير من السلاطين يقدمون الأموال فيهما على سبيل الصدقة، أو يقدمون المواد العينية للمؤسسات الخيرية، أو شراء العقارات ووقفها على الفقراء والمساكين والمحتاجين.

المصادر

- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي(ت: ٩٢٠هـ/١٥١٤م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق مصطفى زياده، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
- تحقيق محمد مصطفى، مكة الكرمة، مكتبة دار الباز (ب، ت).
- بن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت: ٩٢٠هـ/١٥١٤م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، مكة الكرمة، مكتبة دار الباز (ب، ت).
- بيبرس المنصوري (ت: ٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، التحفة الملوكي في الدولة التركية: تاريخ المماليك البحرية في الفترة من: ٦٤٨-٧١١هـ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، مصر، الدار المصرية اللبنانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ابن تغري بردي، يوسف جمال الدين أبو المحاسن (ت: ٨٤٧هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزر الثالث عشر، تحقيق فهيم محمد شلتوت، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
- ابن تغري بردي، يوسف جمال الدين أبو المحاسن (ت: ٨٤٧هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء السابع، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (ب، ت).

- ابن الحاج، أبو عبدالله محمد بن محمد العبدرى، المدخل، مكتبة التراث، القاهرة، الجزء الأول (ب. ت).
- الأدفوي، كمال الدين بن جعفر الشافعي (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٩٦م.
- الداودري، أبو بكر بن عبدالله بن أيبك، كنز الدرر، وجامع الغرر، تحقيق بيرند راتكه، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- الزبيدي، محمد بن أحمد عبدالله الحضيري الدمشقي (ت: ٨٩٤هـ/١٤٨٩م)، الحافظ قطب الدين. ولد عام ٨٢١هـ وولي قضاء الشافعية بدمشق وكتابة السر بها وعدة مدارس بدمشق. توفي عام ٨٩٤هـ.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار الجيل، (ب، ت).
- السخاوي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) ، الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تحقيق، حسن إسماعيل مروةو محمود الأرناؤرط، مكتبة العروبة، الكويت، دار ابن العماد، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- السيوطي، جلال الدين أبو بكر، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق فليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
- ابن شاهين الظاهري، عبد الباسط زين الدين بن خليل (ت: ٨٤٤-٩٢٠هـ)، نيل الامل في ذيل الدول، القسم الخامس من الجزء الثاني (٨٤١-٨٥٦هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- الصيرفي، الخطيب الجوهري علي بن داود(ت: ٩٠٠هـ /١٤٩٤م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٣م.
- الصيرفي، علي بن داود الجوهري (ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
- ابن عبد الظاهر (ت:٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- العيني، بدر الدين محمود، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق فهيم محمد علوي شلتوت، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م.
- العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- العليمي، مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، الجزء الأول، تحقيق تخقيق عدنان أبو تبانة، مكتبة نديس، الخليل، ١٤٢٠هـ/١٩٩٥م.
- العليمي، مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، الجزء الثاني، تحقيق محمود كعابنة، مكتبة نديس، الخليل، ١٤٢٠هـ/١٩٩٥م.
- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، المجلد التاسع، الجزء الثاني، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، بيروت، المطبعة الاميركانية، ١٩٣٨م.
- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي (ت: ٨٥١هـ/١٤٤٧م)، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، دمشق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٧٧م.
- القلقشندي، أبي العباس أحمد (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م) ، صبح الأعشى،القاهرة، دار الكتب الخديوية، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.
- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي(ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق أكرم حلمي فرحات، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.
- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار العروف بالخطط المقريزية، وضع حواشيه خليل منصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٣م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فواز و حكمت كشلي فواز، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ.

المراجع

- التواب، عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م.
- حلاق حسان و صباغ عباس، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٩م.
- خفاجي، محمد فرج حافظ، الصدقات العصر المملوكي، مجلة فكر وإبداع، العدد ١٠٦، نوفمبر، ٢٠١٦، ص ص ٢١٦-٢٣٥.
- عاشور، سعيد، المجتمع المصري في عصر السلاطين المماليك، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٢م.
- الطل، عثمان، سماط الخليل في العصر المملوكي: ٦٥٨-٩٢٣-هـ/١٢٦٠-١٥١٧م، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد ستون، سبتمبر ٢٠٢٣م.
- هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.

الهوامش

(١) الشون السلطانية: تسمى أيضا الأهراء السلطانية وهي: الأماكن التي تخزن فيها الغلال والأتبان الخاصة بالسلطان، ولا تفتح إلا للضرورة. انظر: القلقشندي، أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، القاهرة، دار الكتب الخديوية، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ج ٤، ص ٣٣. انظر: حلاق حسان و صباغ عباس، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٩م، ٢٧.

(٢) الأردب: مكيال مصري للحنطة، يتألف من (٦) ويبات، وكل ويبة تساوي (٨) أقداح كبيرة، أو (١٦) قدحا صغيرا، ويساوي الأردب (٦٩.٦ كغم). هنتش، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م. ص ٥٨؛ دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص ٢٥.

(٣) المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ج ٢، ص٦. انظر: ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ١٨٩، بيبرس المنصوري، التحفة الملوكي في الدولة التركية: تاريخ المماليك البحرية في الفترة من: ٦٤٨-٧١١هـ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، مصر، الدار المصرية اللبنانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٥٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٢٦٢.

(٥) المقريزي، السلوك، ج ٥، ص ٣٨٥.

(٦) المقريزي، السلوك، ج ٥، ص ٣٨٦.

٧ المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق أكرم حلمي فرحات، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، ص ١٠٦-١٠٧.

[٨] ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، المجلد التاسع، الجزء الثاني، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، بيروت، المطبعة الاميركانية، ١٩٣٨م، مج ٩، ج ٢، ص ٤٣٤؛ ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، دمشق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٧٧م، ج ٣، ص ٥٧٦؛ الصيرفي، الخطيب الجوهري علي بن داود، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٣م، ج ١، ص ٤٢٤-٤٢٥، ٤٢٨؛ ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، مكة الكرمة، مكتبة دار الباز (ب، ت)، ج ١، ق ٢، ص ٤٨٢.

[٩] ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج ٣، ص ٥٧٦.

[١٠] المقريزي، السلوك، ج ٥، ص ٣٨٥، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج ٩، ص ٤٣٤.

[١١] المقريزي، السلوك، ج ٥، ص ٤٤٦-٤٤٧.

[١٢] ابن تغري بردي يوسف جمال الدين أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزر الثالث عشر، تحقيق فهيم محمد شلتوت، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ص ٤٠؛ انظر: المقريزي، السلوك، ج ٦، ص ٤٠٤.

[١٣] المقريزي، السلوك، ج ٦، ص ٤٠٥.

[١٤] السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار الجيل، (ب، ت)، ج ٥، ص ١٣٧.

[١٥] العيني، بدر الدين محمود، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق فهيم محمد علوي شلتوت، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م، ص ٢٦٦-٢٦٧؛ انظر: المقريزي، السلوك، ج ٦، ص ٤٠٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ٤٠.

[١٦] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٠٤.

[١٧] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٢٨.

[١٨] المقريزي، إغاثة الأمة، ص ١١٠.

[١٩] المقريزي، إغاثة الأمة، ص ١١٠.

[٢٠] ابن تغري بردي يوسف جمال الدين أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء السابع، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (ب، ت)، ص ٢٣١-٢١٤، العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٣٧٦.

[٢١] انظر: ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٨٨-١٨٩، بيبرس المنصوري، التحفة الملوكي في الدولة التركية: تاريخ المماليك البحرية في الفترة من: ٦٤٨-٧١١هـ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، مصر، الدار المصرية اللبنانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٥٢.

[٢٢] ابن عبد الظاهر، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٨٩.

[٢٣] المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٣٧٥؛ إغاثة الأمة، ص ١١٣-١١٤؛ ابن شاهين الظاهري، عبد الباسط زين الدين بن خليل، نيل الامل في ذيل الدول، القسم الخامس من الجزء الثاني (٨٤١-٨٥٦هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ق ٢، ج ١، ص ٨١-٨٢.

[٢٤] ابن تغري بردي يوسف جمال الدين أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الخامس عشر، تحقيق إبراهيم علي طرخان، مراجعة محمد مصطفى زياده، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، ج ١٥، ص ٩٧؛ المقريزي، السلوك، ج ٧، ص ٣٥٣.

[٢٥] المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٦، ٢٦٢-٢٦٣. أنظر: العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٠١؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فواز و حكمت كشلي فواز، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ، ج ٣٠، ص ٥٩-٦٠.

[٢٦] المقريزي، إغاثة الأمة، ص ١٠٩.

[٢٧] المقريزي، السلوك، ج ٥، ص ٣٨٤، ٤٤٦.

[٢٨] المقريزي، السلوك، ج ٦، ص ٤٠٤.

[٢٩] السخاوي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تحقيق، حسن إسماعيل مروةو محمود الأرناؤرط، مكتبة العروبة، الكويت، دار ابن العماد، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م،ج ١، ص ٤٠٠.

[٣٠] المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٢٧.

[٣١] المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار العروف بالخطط المقريزية، وضع حواشيه خليل منصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الجزء الرابع، ص ٢٦٨-٢٧٠.

[٣٢] انظر: ، النويري، نهاية الإرب، ج ٣١، ص٧٠-٧٣.

[٣٣] السخاوي، الذيل التام، ج ١، ص ٧٦.

[٣٤] الداودري، أبو بكر بن عبدالله بن أيبك، كنز الدرر، وجامع الغرر، تحقيق بيرند راتكه، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، الجزء التاسع، ج ٩، ص ٢٣٧-٢٣٨.

[٣٥] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٩١.

[٣٦] المقريزي، السلوك، ج ٧، ص ٣٤٧.

[٣٧] الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٤١٨.

[٣٨] ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٤٧٤؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج ١، ص ٤٧٤.

[٣٩] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٥٢٥.

[٤٠] المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٧٣.

[٤١] المقريزي، السلوك، ج ٧، ص١٨.

[٤٢] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤٥٢-٤٥٣.

[٤٣] الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٦٣,

[٤٤] الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٤٠١.

[٤٥] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٨٠.

[٤٦] الزبيدي، محمد بن أحمد عبدالله الحضيري الدمشقي، الحافظ قطب الدين. ولد عام ٨٢١هـ وولي قضاء الشافعية بدمشق وكتابة السر بها وعدة مدارس بدمشق. توفي عام ٨٩٤هـ. السيوطي، جلال الدين أبو بكر، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق فليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، ج ١، ص ١٦٢.

[٤٧] ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٢٨.

[٤٨] السخاوي، الذيل التام، ج ٢، ٣٩٦؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٢٨.

[٤٩] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤٥٢-٤٥٣.

[٥٠] خفاجي، محمد فرج حافظ، الصدقات العصر المملوكي، مجلة فكر وإبداع، العدد ١٠٦، نوفمبر، ٢٠١٦، ص ٢٢١، نقلا عن الشنتاوي، محمد، منتزهات القاهرة في العصر المملوكي والعثماني، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٩١.

[٥١] ذكر ابن شاهين الظاهري أن السلطان قد أقر هذه التوسعة الرمضانية في عام ٨٧٦هـ واستمرت مدة عشرين عاما، ولكن في عام ٨٩٢هـ نقص الدعم المالي في التوسع بسبب سياسة خشقدم الطواشي التي ظلمت المستفدين من هذه التوسعة والعمل الخيري من قبل السلطان في شهر رمضان. ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٧، ص ٢٧-٢٨؛ التواب، عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٣٢.

[٥٢] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٨١.

[٥٣] المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ١٠٦؛ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٨٢.

[٥٤] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٨٢.

[٥٥] المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ١٠٦؛ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٨٢.

[٥٦] المقريزي، السلوك، ج ٢، ص١٠٦.

[٥٧] العيني، بدر الدين محمود، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ج ١، ص ٣٧٦. وانظر: النويري، نهاية الإرب، ج ٣٠، ص ٥٩.

[٥٨] الصيرفي، نباء الهصر، ص ٤٠٧.

[٥٩] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٥٣١؛ انظر: عاشور، سعيد، المجتمع المصري في عصر السلاطين المماليك، القاهرة، دار النهضة العربية،١٩٩٢، ص ٢٠٨.

[٦٠] ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٧، ص ٢٧-٢٨.

[٦١] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٨٢.

[٦٢] ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٦٨-٦٩.

[٦٣] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧،١٨١.

[٦٤] المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٥٠٦.

[٦٥] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص٦٥.

[٦٦] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٣٣٧.

[٦٧] السخاوي، الذيل التام، ج ١، ص ٧٦.

[٦٨] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٦٥.

[٦٩] الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٧٩.

[٧٠] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٩٤؛ المقريزي، السلوك، ج ٧، ص ٣٥١. نسب ابن إياس هذا العمل للسلطان قانصوة الغوري سنة ٩٠٥هـ/١٤٧٢م فقال: وفي شهر رمضان سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م، عرض السلطان قانصوة الغوري المحابيس من الرجال والنساء الذين بالحجرة، وعمل مصالح أرباب الديون وصالح عنهم أصحاب الحقوق، ووزن على جماعة من ماله، وأطلق في ذلك اليوم نحوا من مائتي إنسان، وضاع على غالب الناس حقوقها ممن كان له دين على من أطلقه من المحابيس فكان كمالا يقال في المعنى: رام نفعا فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقا. ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٣٢.

[٧١] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٦٨.

[٧٢] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ٤٩.

[٧٣] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص١٠٢.

[٧٤] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٠٢.

[٧٥] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٤٥٢.

[٧٦] الصيرفي، علي بن داود الجوهري، إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ص ٣٩٩.

[٧٧] المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٢٢٣.

[٧٨] خفاجي، محمد فرج حافظ، الصدقات العصر المملوكي، ص ٢٢٨، نقلا عن: عبدالعزيز، نبيل، المطبخ السلطاني زمن الأيوبيين والمماليك، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة (ب، ت)، ص ٦٨.

[٧٩] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٤٤٥.

[٨٠] المقريزي، السلوك، ج ٥، ص ٣٥٣؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج ٣، ص ٥٠٨.

[٨١] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٥٤.

[٨٢] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٣٩٣.

[٨٣] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٣٨.

[٨٤] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص٦٨.

[٨٥] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص٩٤.

[٨٦] ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ١٣٤- ١٣٥.

[٨٧] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٧٣؛ المقريزي، السلوك، ج ٥، ص ٤٠٩.,

[٨٨] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٧٤.

[٨٩] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٥.

[٩٠] ابن الحاج، أبو عبدالله محمد بن محمد العبدرى، المدخل، مكتبة التراث، القاهرة، الجزء الأول (ب. ت)، ص ٢٨٩-٢٩٠.

[٩١] الأدفوي، كمال الدين بن جعفر الشافعي، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٥٩؛ عاشور، سعيد، المجتمع المصري في عهد المماليك، ص ١٩٦.

[٩٢] المقريزي، السلوك، ج ٦، ص ٥٠٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٣٦٦.

[٩٣] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٥٢-٥٣.

[٩٤] خفاجي، محمد فرج حافظ، الصدقات العصر المملوكي، ص ٢٢٤، نقلا عن : بيومي، محمد رجب، من تاريخ دولة المماليك، مجلة الأزهر، العدد ٢٠٦، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ص ١٦٩.

[٩٥] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢.

[٩٦] السخاوي، الذيل التام، ج ١، ص ٢٠٩-٢١٠.

[٩٧] ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٥٣١.

[٩٨] الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ١٢٢.

[٩٩] ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٧، ص ٢٤٤.

[١٠٠] السخاوي، الذيل التام، ج ٢، ص ٣٢٢.

[١٠١] ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٦١.

[١٠٢] ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٦٥؛ عبدالتواب، قايتباي المحمودي، ص ٨٢-٨٣.

[١٠٣] الصيرفي، إنباء الهصر، ص ٤٨٠-٤٨١.

[١٠٤] ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٦٥؛ ابن شاهين الظاهري، ج ٧، ٢٥٥.

[١٠٥] ابن شاهين الظاهري ، نيل الأمل، ج ٧، ص ٣٤٣.

[١٠٦] السخاوي، وجيز الكلام، ج ٣، ٩٣٨-٩٣٩.

[١٠٧] ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٦٤-١٦٥.

[١٠٨] ابن شاهين الظاهري ، نيل الأمل، ج ٧، ص ٢٥٥.

[١٠٩] ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٦٥. انظر: عبد التواب، قايتباي المحمودي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٧٨، ص ٨٩.

[١١٠] ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٧، ص ٢٥٥؛ انظر: ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٦٥.

[١١١] ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٧، ص ٣٤٣.

[١١٢] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٨١.

[١١٣] ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٧، ص ٣٢؛ الصيرفي، إنباء الهصر، ص ٤٢٣، ٤٢٤؛ بدائع الزهور، ج ٣، ص ٧٠.

[١١٤] الصيرفي، أنباء الهصر، ص ٣٣٨-٣٣٩.

[١١٥] المقريزي، السلوك، ج ٥، ص ٤٢٩..

[١١٦] السخاوي، الذيل التام، ج ١، ص ٨١.

[(١١٧)] السخاوي، الذيل التام، ج ١، ص ١٥٧.

[١١٨] ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٣، ص ٢٩٧؛ العسقلاني، ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٣، ص ٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٥.

[١١٩] الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٤٠٨-٤٠٩.

[١٢٠] ابن شاهين الظاهري ، نيل الأمل، ج ٧، ص ٢٥٢.

[١٢١] انظر الطل، عثمان، سماط الخليل في العصر المملوكي: ٦٥٨-٩٢٣-هـ/١٢٦٠-١٥١٧م، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد ستون، سبتمبر ٢٠٢٣، ص ٩١-٩٨.

[١٢٢] غرارة : جمعها غرائر، هو كيس من الخيش ونحوه توضع فيه الحبوب جوالق يكون فيها القديد والكعك. كيل كانوا يتعاملون به إلى عهد قريب ويعادل ثمانين مدا. أنظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ١٦٠٥، وتساوي الغرارة بأوزان العصر الحديث ٢٠٤,٥ كغم. أنظر: هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠، ص ٦٤.

[١٢٣] العليمي، مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، الجزء الأول، تحقيق تخقيق عدنان أبو تبانة، مكتبة نديس، الخليل، ١٤٢٠هـ/١٩٩٥م، ص ١٦٩-١٧٠؛ ٤٠٣.

[١٢٤] العليمي، مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، الجزء الثاني، تحقيق محمود كعابنة، مكتبة نديس، الخليل، ١٤٢٠هـ/١٩٩٥م، ص ١٧٢-١٧٣.

[١٢٥] العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٧٤، ٤٠٦.

[١٢٦] السخاوي، الذيل التام، ج ٢ ص ٨٦٣.

[١٢٧] الصيرفي أنباء الهصر، ص ٤٧٤-٤٧٥؛ السخاوي، الذيل التام، ج ٢ ص ٢٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١١٢.

[١٢٨] الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٤٧٦.

[١٢٩] الصيرفي، نزهة النفوس،، ج ١، ص ٤٨٠.

[١٣٠] ابن قاضي شهبة، ج ١، ص٢٦٤.

[١٣١] ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج ١ ص ٢٧٠-٢٧١؛ انظر: عاشور، سعيد، المجتمع المصري في عصر المماليك، ص ٢٠٧.